وهكذا فقد بدأت ـ خارج الاطار الرسمي ـ مناقشة الاستراتيجيين الغربيين لما يسمى لمشكلة « المنطقة الرمادية » ، وهو تعبير يقصد به المجال الواقع بين الاسلحة الاستراتيجية والاسلحة التكتيكية فيما ينطبق جغرافيا على اوروبا الغربية . وبلغ حجم الاهتمام بهذه المنطقة حد القول بانها « ستأتي من حيث الترتيب بعد مشكلة الدولار على جدول اعمال العلاقات بين الولايات المتحدة واوروبا في السنوات العديدة المقبلة » (١٨) .

واصبح في حكم المؤكد ان تدخل مشكلة الصواريخ المتوسطة المدى في محادثات « سالت ـ ٣ » ، وان تصبح خلال الاشهر او السنوات القادمة واحدة من المسائل الرئيسية بين الدول الغربية والاتحاد السوفياتي من ناحية وداخل حلف الاطلسي من ناحية اخرى ، كما ستكون مشكلة من مشكلات السياسة الداخلية لعدد كبير من الدول الاوروبية (١٩) . (صاحب هذا الرأي ـ فرانسوا دي بوز ـ كان سفيرا لفرنسا لدى حلف الاطلسي طوال الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥ . وتربطه علاقة وثيقة لعدة سنوات بالبرامج النووية الفرنسية العسكرية والمدنية) . بل ان ابيل وزير الدفاع في المانيا الغربية حذر الولايات المتحدة في العام الماضي من ان « سالت ـ ٢ » ستؤدي الى ترك الولايات المتحدة في مواجهة قوة ساحقة من الاسلحة السوفياتية في المنطقة الرمادية ، وان حل مشكلة المنطقة الرمادية هو واحد من اكثر المهام الامنية اهمية ، التي تواجه حلف الاطلسي اليوم (٢٠) . وبدأ الحديث عن تعمق شكوك الدول الاوروبية الحليفة للولايات المتحدة في قدرة الاخيرة على حماية المصالح الامنية الاوروبية ، او في اهتمامها بذلك . ولهذا فانه من المؤكد ان مفاوضات مضنية بين الولايات المتحدة وحلفائها في اوروبا الغربية حول هذه المسألة الامنية الرئيسية ستسبق اية مفاوضات في اطار « سالت ـ ٣ » بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وذلك فيما يوصف « بمرحلة تخطيط ضرورية يتم فيها تحديد وتحليل الخيارات ، وتسبق مرحلة اتخاذ القرار باختيار واحد او اكثر من هذه الخيارات لوضعه موضع التنفيذ . اي انه لا بد من التوصل داخل الغرب الى اتفاق في الرأي حول هدف واتجاه وحدود الاستراتيجية الغربية للحد من التسلح . ولما كان التوصل الى مثل هذا الاتفاق في الرأي قد امنت انه امر صعب في داخل الولايات المتحدة نفسها خلال السنوات العشر الماضية ، فانه من المؤكد ان يكون اشد صعوبة حينما يدخل فيه حلفاء اوروبيون او غيرهم (كاليابان مثلا) . بل ان التوصل الى اتفاق في الرأي داخل اوروبا الغربية نفسها سيكون امرا صعبا للغاية بسبب الاختلافات الكامنة في وجهات النظر والتقديرات للمخاطر والمواقف من الاسلحة الذرية بين دولها. فـ«حلف الاطلسي» ـ على الرغم من تاريخ امتد ٣٠ عاما ـ يفتقر الى الخبرة بخلق اتفاق في الرأي السياسي وفي اتخاذ قرارات جماعية للتحالف خاصة في مجال المفاوضات بين الشرق والغرب في ما يتعلق بالامور المتصلة بالاسلحة النووية ، وهي امور تنطوي على مسائل خطيرة بالنسبة للامن القومي والبقاء (٢١) .

وبطبيعة الحال ، عندما تثار الامور المتعلقة بامن اوروبا الغربية ، تثار في الوقت نفسه الامور المتعلقة بامن اوروبا الشرقية . وهنا تلعب عوامل عديدة دورها في تحديد الصعوبات امام « سالت ـ ٣ » . هناك عامل الجغرافيا حيث الحليف الرئيسي لأوروبا الشرقية ، (اي الاتحاد السوفياتي) قريب منها لا يحتاج الى عبور قارات لمساندتها ، بل ان بينه وبين دول اوروبا